**محاضرة رقم (03**):: شعر التروبادور(Troubadours) الدكتورة: هنية مشقوق

**تمهيد**:

ظهر الشعر في أوروبا منذ عصر قدماء اليونان، لكن الشعراء لم يعرفوا الشعر الغنائي المقفى إلا في بداية القرن الثاني عشر ميلادي في جنوب فرنسا وكان أول من نظم هذا الشعر الجديد -غير رسمي- في بروفنس (Provence)شعراء التروبادور ، ثم انتشر بسرعة ليعم جميع أنحاء أوروبا.

1. **مفهوم شعر التروبادور لغة:**

يقال أن التروبادور(Troubadours)في لغة البروفانسيين، اسم فاعل من الفعل "ترو بار Trobar"

بمعنى " وجد" وجد العبارات الجميلة، فيكون اسم الفاعل إذا المبدع المبتكر، وهناك نفر من الباحثين يرى أن أصل الكلمة عربي من الفعل طرب: أي اهتز فرحا أو حزنا، أو أنها من الفعل طرَب بتشديد الراء أي تغى أو أنها ى من الفعل ضرب الذي شاع عند أهل الأندلس، بمعنى عزف على الموسيقى على العود أو غيره من الآلات الموسيقية ثم أضاف إليه الأسبان وفقا للغتهم حرفي "آر" " وقالوا ضروبار أو طروبار Trobar".

فهي عندهم تركيب من صنف كان شائعا عند الأندلسيين القائل دور طرب ثم قلبت طرب دور، أما الجونغلير (Joglars)فهم الذين اتخذوا من الشعر حرفة لهم"، فإذا كان هذا الشعر من إبداع التروبادور فإن الجونغلير هم الذين يتغنون به في المناسبات،ولم يحفظ الجونغلير أغاني التروبادور فحسب بل كانوا يرددون أيضا الأشعار التي يأتون بها من الأندلس.

1. **اصطلاحا:**

لقد نشأ في القرن الثاني عشر للميلاد في بلاد البروفنس غير بعيد عن بلاد الأندلس شعر غزلي يتغنى بالحبيبة ومدى عشقه وتعلقه بها، والدفاع عنها باعتبارها مصدر ومنبع سعادته الوحيد في الحياة ، هذا الشعر الجديد الذي اخترعه شعراء جنوب فرنسا (Trobadors)ونظموه باللغة الأوكسيتانية منها ماهو على منوال الشعر الأندلسي ومنها ما قاموا بنظمه على منوالهم الخاص فقد أغوى هذا الشعر خلال العصور الوسطى طوائف أخرى من الشعراء في غرب أوروبا فنسجوا على منواله فظهر شعراء شمال فرنسا (Trouvères)،الذين نظموا شعرهم بلغة الشمال (oïl) ، وشعراء إنكلترا (Troubadours)، وشعراء اسبانيا (Trovadors)، وشعراء (Trovatori)، وشعراء ألمانيا (Minnessangers)، وغيرهم من الشعراء الجواليين الأوروبيين ولأول مرة أيضا ظهر في منطقة البروفنس نساء شاعرات (Trobairitz)اللائي نظمن شعر الغزل، وقد بلغ عددهم 17 تروبادورة من الأميرات والنبيلات وأواسط المجتمع المختلفة"

**3-حركة التروبادور:**

نشط شعراء التروبادور كثيرا ما بين عامي 1101-1992،بدأ بغيوم التاسع الذي بنظم قصائد الحب الفروسي، وكان أول شاعر ينظم بـلغة محلية لغة جنوب فرنسا، حاكيا في ذلك الشعراء الأندلسيين الزجالين.

يعتقد فريق من الباحثين أن شعر التروبادور نشأ فجأة في القرن الثاني عشر ميلادي، لذلك لم يتمكنوا من تحديد المصادر المباشرة التي يكون هذا الشعر الأوروبي قد تأثر بها في نشأته،توصل بعض المقارنين بأن مصادره أجنبية في حين أنكر آخرون عنه أي تأثير خارجي.

ظهرت طلائع التروبادور في إقليم بروفانس ونشطت حركتهم في فترة زمنية محدودة مابين 1101و1292للميلاد تقريبا

وأحصى التاريخ أفراد هذه الحركة كالقافلة الطويلة يفتتحها غيوم دوق أكيتانيا التاسع وكونت بواتيه التاسع ، ويختتمها جيروت ديكي التروبادور وهو آخر كبار التروبادور.

ولكن تجدر الإشارة إلى الحالة الثقافية التي كانت سائدة في جنوب فرنسا قبل ظهور الأدب البروفنسي فلم تكن قد ظهرت في البروفنس ثقافة خاصة بالشعب البروفنسي بالمعنى الذي نفهمه اليوم، أو على الأقل ثقافة شعبية يمكن من خلالها للمجتمع التعبير عن عاداتهم وتقاليدهم العريقة، لكن في الواقع لم يكن هناك سوى بعض الأناجيل وبعض المختارات التي تتمثل في بعض القصائد الكنسية والمراثي الدينية.

طلت القرون الوسطى حتى القرن الثامن للميلاد من دون مؤسسات ودون لغات خاصة وآداب جديدة1 وفي نهاية القرن ظهر شارلمان (Charlemagne)، الشخصية القوية في أوروبا الذي يعود إليه الفضل في تعزيز الثقافة الحديثة ، أمر هذا الملك الكارولنجي(Carolingien)، العظيم بفتح في كل مكان عبادة ومدارس يتعلم فيها الطلاب الحساب الكنسي والغناء والنحو، ومع ذلك ظل التعليم محصورا داخل جدران المصليات .

والشعر الأوكسيتاني هو الذي نظم بلغة "أوك" (oc) وهي لغة جنوب فرنسا دون شمالها ، وقد عبر شعراء التروبادور عن كراهيتهم للفرنسيين –سكان الشمال- واعتبروهم برابرة متوحشين ، وتسمى لغتهم أيضابـ الأوكسيتانية(l'occitan)، تنطق في لغتها الأصلية أوسيتان وهي لغة الجنوب كله وليس حكرا على منطقة بروفانسا فحسب.

**4-علاقة شعر التروبادور بالشعر الأندلسي:**

انتفع شعراء جنوب فرنسا في القرن الحادي عشر من الشعر الأندلسي حيث وجد شبه بين شعراء التروبادور ويعود هذا إلى أن غيلوم التاسع كونت بواتيه أول من نظم هذا اللون الجديد وكان ذلك بعد عودته من المشرق، لقد ذهب هذا المغامر إلى المشرق العربي في 1100م، على رأس حملة صليبية ولكنه مني بالخسارة في هرقلة، فعاد خائبا إلى جنوب فرنسا في سنة1102، ولكن قبل عودته أقام بضع أشهر في أنطاكيا.

شعر التروبادور من الموضوعات التي أثارت جدلا كبيرا بين الدارسين والمستشرقين منهم بخاصة،

فقد لاحظ بعض من المستشرقين بين بنائه وبين بناء الموشح والزجل وسارت الدراسات في هذا الموضوع في اتجاهين: أحدهما يرفض التأثير العربي ، أن القافية الواحدة في الأقفال لها أمثلة في الشعر اللاتني الذي عد شعر التروبادور امتدادا له، ويزعم "رود ريجيبث لابا" البرتغالي بأن أمثلة الشعر اللاتني الذي يتضمن هذه القافية المتكررة سابق على أزجال "بن قزمان

وممن تبنى هذا الرأي أيضا الدارسون الرومانيون عموما وعلى رأسهم بدزولا ،(Bezzola)يرجعون أصل الشعر الغنائي الأوكيستاني إلى مصادر لاتنية بحتة معتمدين في ذلك على قصائد القديس فورتوناتوس (Saint Fortunat)هذا الشاعر الروماني الذي عاش في القرن السادس للميلاد .

وبالمقابل فإن الشعر البروفانسي في القرن الثاني عشر للميلاد يختلف جذريا عن مقطعات " فورتينا" الشعرية،والتي في الواقع ليست إلا نثرا إكليروسيا. بالنسبة للحب المجامل أو الكورتوازي(L’amour courtois)الذي نظمه الشعراء الجوالون، فأصحاب النظرية اللاتينية قد بالغوا كثيرا عندما راحوا يبحثون له عن أصول ت"أوفيدية" لأن كتاب "فن الحب" (Ars amatoria)لـ أوفيدوس لا يشهد على أي علاقة مع الكزرتوازيه، بل مجرد نصائح قدمها أوفيد لكلا الجنسين بغرض الإغواء والإغراء لم يراع فيها أدنى احتشام، في حين أن تمجيد المرأة الذي جاء الشعراء الفرسان التروبادوريون في شعرهم لم يعرفه الأوفيديون من قبلهم وقد، اعتبرته الكنيسة التي احتضنت الشاعر "فورتينا" ضربا من الكفر.

إن الذين دافعوا عن الطرح اللاتني يدعمون أفكارهم بمقطوعة يتيمة وجدت في دير القديس )سان مارسيال Saint Martial، بمدينة ليموج والتي تعود إلى الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري، وقد نظمت باللغة اللاتينية:

In laudes innocentium

Qui passi sunt martirium

Psallat chorus infantium

Sic decus regi martirum Et gloria !

إن المتتبع لآراء المؤرخين الفرنسيين على وجه التحديد يدرك رفضهم القاطع للمرجعية العربية لشعر التروبادور، ويؤكد محمد رجب البيومي ذلك قائلا" لكن المؤرخون الفرنسيون قد سخروا من الالمان وذلك بتزعمهم على أن النشأة الأولى لشعر التروبادور كانت في شمال فرنسا لافي جنوبها وهم بذلك أرادوا أن يقطعوا كل صلة تمت للشعراء العرب والأندلس".

أما إذا انتقلنا للمدافعين عن الأصل العربي الأندلسي لشعر التروبادور فنجد عديد المستشرقين ممن أكد الأصول العربية من بينهم المستشرق الألماني "بيدال" الذي قال بأقدمية النماذج العربية الأندلسية، لأن "ابن قزمان" نفسه يشيد "بابن نمارة" الزجال الذي سبقه، ولاشك بأن "ابن نمارة " قد نسج على منوال نموذج سابق له، إذ لا تنسب إليه الريادة في فن الزجل".

بالإضافة إلى المستشرق الاسباني " باربييرا" الذي قدم إثباتات عديدة تقول بصحة وحقيقة تأثير الموشحات والأزجال الأندلسية في شعر التروبادور ، وقد شاطره الرأي كل من "جارثيا جومث" " **jarthia jometh**"، و"آنخل بالنثيا"، الذين أسهموا كثيرا في الدفاع عن هذا الموقف، حتى أصبح كنظرية ثابتة ومعترف بها.

خرج " باربييرا" من دراسته بأن" الموشح"و" الزجل" هما الأساس الذي نفسر من خلاله سبب "الأنظمة الشعرية" التي شاعت في العالم المتحضر في العصر الوسيط،بالإضافة إلى أنه أثبت انتقال بحور الشعر الأندلسي إلى جانب الموسيقى العربية إلى أوروبا مثلما انتقلت مختلف علوم القدماء وفنونهم، وذلك من بلاد الإغريق إلى روما ومن هند إلى فارس ومن بغداد والأندلس، وفي الأخير إلى بقية أوروبا ،ذلك أن الشعراء التروبادور البروفانساليين الأوائل قد استخدموا أقدم قوالب

الزجل الأندلسي، ويظهر ذلك في شعر أول شاعر بروفانسالي "غليوم التاسع" وتتألف قصائده من فقرات تشبه في قالبها فقرات الزجل من حيث تأليفها من ثلاثة أشطار أبيات موحدة القافية شانها في ذلك شأن الشعر الغربي القديم، أما القصائد الأخرى فقد نظمت على طراز الموشحات والأزجال الأندلسية مع بعض التغيير المقصود في ترتيب القوافي، أما قصيدته الحادي عشر من شعره المكفر فقد جاءت مطابقة للأزجال الأندلسية من حيث الشكل وخاصة أزجال ابن قزمان.

وخلاصة القول فإن أنصار فرضية الأصل العربي مقتنعون بتأثير الأدب العربي الأندلسي على الشعر الغنائي الأوكسيتاني . لقد سبق الأندلسيون الشعراء البرفنسيين بأكثر من أربعة قرون في استخدام الأشكال التعبيرية المقطعية، وتمجيد المرأة وإجلالها يعد من تقاليد العرب الأصلية .

أنصار هذا الطرح من المحدثين كثيرون من بينهم مستشرقون وعرب، فالموسيقى التروبادورية يقول "روبرت بريفو" بالإضافة إلى الآلات التي ترافقها هي في الواقع من أصل قرطبي وغرناطي، أما الباحثون العرب الذين يؤكدون على التأثير الأندلسي العربي في الشعر البروفنسي الأوكسيتاني فهم كثيرون إلا أنهم في الغالب الأحيان اكتفوا بما قدمه المستشرقون والمستعربون.

1. **خصائص شعر التروبادور:**

استطاع الشعراء البرفنسييون إدخال إلى مجتمعهم جميع موضوعات الشعر الأندلسي تقريبا، طرقوا الغزل البلاطي المجامل والعفيف أبدعوا في الحب بالوصف وصفوا أزهار الربيع مدحوا ورثوا كما شخصوا مختلف عناصر الطبيعة الحية والجامدة .

* كان الشعراء التروبادور يصنعون شعرهم في الغزل للغناء، فغرضهم الأساسي هو تمجيد المرأة وحبها والتغزل بها وبالتالي فكتومات هذا الشعر هي: النغم الموسيقي والشكل العرضي ، والمضمون الغرامي.
* للموسيقى حظ أوفر في شعر التروبادور، فالطابع الرئيس لهذا الشعر هو الأنغام المرحة التي يتردد صداها في الأوساط الشعبية.
* تتكون قصائد التروبادور الأوائل من ست أو سبع مقطوعات وكل مقطوعة تتكون من جزئين : الأول يعرف **بالغصن** والغصن ثلاثة أشطر وأكثرها تنتهي بقواف متماثلة، والثاني **القفل** الذي تتفق قافيته مع قافية نظيره في كل مقطوعة، والقفل النهائي في القصيدة هو **الخرجة .**
* **أما من ناحية المضمون فقد تنوعت أغراض شعر تروبا دور تنوعا لم يخرج عن الطابع الأساسي وهو تعبير الفارس لمحبوبته عن غرامه وعشقه ومن تلك الأغراض نذكر:**
* **أ- الرعويات او الباسترويل** :**pastourelleوهي قصائد قصور غرامية بين الشاعر الفارس أثناء سفره وبين راعية غنم جميلة يصادفها في طريقه.**
* **ب- الألبا أو الغجرياتallba: وهي أغنية يتكرر فيها ذكر كلمة فجر في نهاية كل مقطوعة من القصيدة.**
* **ج- المطارحات أو التانسو**  **: tenso وهي قصائد نقاشية تلبس لبوس المعارضات والمناظرات، وتكون بين شخصين في مسألة من المسائل .**

**­ملاحظـة: أعزائي الطلبة بعد الاطلاع على هذه المحاضرة قد تتكون لديكم جملة من الأسئلة وعلية سأكون في خدمة الإجابة عليها عبر بريدي الالكتروني.**

**المراجع المعتمدة:**

**محمد عباسة أثر الموشحات والأزجال في شعراء التروبادور، عمر إبراهيم توفيق في تاريخ الأدب العربي في الأندلس/ محمد رجب البيومي الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر / محمد غنيمي هلال الأدب المقارن.**